النسق الثقافي المضمر في شعر صالح بن عبد القدوس البصري (٧٧ هـ_١٦٧ هـ)

م.م. زينب مهدي صاحب جاسم الخياط
zainabm.alkhayyat@uokufa.edu.iq
جامعة الكوفة/ كلية علوم الحاسوب والرياضيات

الملخص

حاول البحث أن يسلط الضوء على شعر صالح بن عبد القدوس من خلال دراسة النسق الثقافي المضمر فيه, وعبر قراءة أشعاره تم التوصل اليها وتحديدها بنسقين :الأول سياسي ناتج عن فساد السلطة وجورها على الشعب انذاك ,والثاني اجتماعي ناتج عن الظواهر الاجتماعية السائدة في عصره.

الكلمات المفتاحية: النقد الثقافي، النسق السياسي، النسق الاجتماعي، صالح بن عبد القدوس.

The implicit cultural pattern in the poetry of Saleh bin Abdul Quddus Al-Basri(77 AH - 167 AH)

Asst.lect:Zainab mahdi sahib

Abstract

The research tried to shed light on the poetry of Saleh bin Abdul Quddus by studying the cultural pattern implicit in it, and by reading his poems, two styles were reached and identified: the first was political, resulting from the corruption and injustice of the authority against the people at that time, and the second was social, resulting from the prevailing social phenomena of his time.

Keywords: cultural criticism, political system, social system, Saleh bin Abdul Quddus.

توطئة:

صالح بن عبد القدوس من الشعراء العباسيين الذي تحمل اشعاره انساقا ثقافية مغمورة تعكس سياقات ثقافية اجتماعية وأخلاقية وانسانية وسياقات دينية أيضا, وقد اتضح للباحث أن هناك نسقين تم تحديدهما في شعره هما النسق الاجتماعي,النسق السياسي.

وفي بادئ الأمر نتطرق قليلا لمعرفة النقد الثقافي , اذ أنه من الموضوعات الجديدة التي ظهرت على الساحة الأدبية للبحث عن الثقافة في النص الأدبي متجاوزا النقد الأدبي الى نقد ثقافي يكشف خبايا النص [١] فهو((فرع من فروع النقد النصوصي العام , ومن ثم فهو أحد علوم اللغة وحقول الألسنية معني بنقد الأنساق المضمرة التي ينطوي عليها الخطاب الثقافي بكل تجلياته وأنماطه وصيغه))[٢] اذ أنه معني بكشف الدلالة الضمنية لا الجمالية كما هو الأمر في النقد الأدبي فهوآلية جديدة لقراءة النصوص من وجهة نظر النقد الثقافي[٣], لذلك فهو يتطلب ((منهجا قادرا على تشريح النصوص واستخراج الأنساق المضمرة)).[٤]

ولعل أول من تطرق لموضوع النقد الثقافي في الوطن العربي هو عبد الله الغذامي الذي يرى أن الدلالة المضمرة ليست مصنوعة من المؤلف لكنها ناتجة عن اللاشعور فهي مكبوتة في خطابات المؤلف [٥] تتغذى على ثقافته السياسية والاجتماعية والدينية وغيرها.

ومعنى ذلك أن النسق الثقافي موجود بشكل مضمر وخفي في لغة المؤلف اذ اشترط في حدوثه وجود نسقين أحدهما مضمر والاخر علني وأن يكون نصا جماليا ويحظى بقبول جماهيري[٦].

وتكمن أهمية النسق الثقافي أنه يمثل بنية وعي المؤلف فيظهر بشكل جلي في خطاباته اذ أنها ((تعطي قيما متخيلة وافتراضية تصطنع فروقا غير عقلانية وغير دينية بين البشر وتوهم أن هذا هو الطبيعي))[٧] فهو المتحكم بكافة أفعالنا وتوجيه سلوكياتنا[٨]اذ أنه ((ليس طارئا وانما هو مغروس فينا))[٩].

ومن ذلك يتبين أن النقد الثقافي يمثل الثقافة السائدة في المجتمع الذي أنتج فيه النص والتي يضمرها الأديب اذ به يتم الكشف عن البعد النسقي في النصوص الأدبية كالظلم والغدر وغيرها.

١- النسق السياسي

تمثل السياسة واقع الحكومة في طريقة ادارتها وصنع قراراتها, وقد عاش صالح بن عبد القدوس في فترة مليئة بالنشاط الفكري والعلمي والفلسفي اذ كانت التحولات السياسية التي تعرضت لها الحياة في بداية هذا العصر كبيرة أثرت في عقل الانسان وتقافته[١٠], وكان صالح بن عبد القدوس قد مثل تلك الفترة العقلية أتم تفكير , فهو من مؤسسي علم الكلام في البصرة وتمكن من اخضاع الحكمة والفلسفة في أشعاره ((ومن الأمور الطبيعية أن ملتقى تلك التيارات والتغييرات الاجتماعية والفلسفية والسياسية والدينية والفلسفية يكون عند الشعراء والأدباء))[١١] لأنهم الطبقة المدركة لمجريات الأمور والمرتبطة بروابط عديدة مع السلطة, ولأن السلطة كانت تنفذ أجندة سياسية خاصة بها عملت على ترسيخ فكرة الجبر بين الناس , بينما كان صالح يؤمن بحرية ارادة الانسان ,الأمر الذي كان يمثل خطرا على السلطة فالأفكار التي كانت السلطة تريدها

راسغة في أذهان الناس هو ان الانسان مسلوب الارادة وأنه مسير لا يد له في أموره كلها فلا فائدة من المقاومة والمطالبة بالاصلاح, أما صالح بن عبد القدوس فكان ينادي بأفكاره التي ترى ان الانسان حر الارادة وان كل مايقع عليه من ظلم وتعسف بسبب تخليه عن حقوقه وعدم الدفاع عنها .

فيقول[١٢] :

ولا أقول اذا ما جئت فاحشة اني على الذنب محمول ومجبور

ويقول أيضا[١٣]:

الدار جنة عدن ان عملت بما يرضى الاله وان فرطت فالنار

ذكر الشاعر في هذين البيتين بعض القيم المشتركة بين الأديان السماوية والتي تتوافق مع قيم الانسان العادلة ففكرة القضاء والقدر وفكرة الجبر وغيرها من الأمور التي فرضتها السلطة في ذلك الوقت غير ان صالحا أشار هنا الى ان مقياس دخول الجنة والنار مترتب على عمل الانسان , وفيه رد بالغ على الجبرية الذين يرون ان الانسان مجبور على افعاله,وصالح هنا ينفي أن يكون مجبورا على الذنب , فالعبد له اختياره لكن اختياره وارادته تابعة لارادة الله ومشيئته فيستطيع أن يختار ويميز بين الخير والشر والحق والباطل يقول تعالى (انَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا)[١٤] فالله سبحانه وتعالى خلق الانسان واعطاه القدرة على الاختيار فيستطيع أن يأكل ويشرب ويطيع ويعصى الى غير ذلك.

يقول[١٥]:

انسك بوحدتي ولزمت بيتي فتم العز لي ونما السرور

وأدبني الزمان فليت أني هجرت فلا أزار ولا أزور

ولست بقائل مادمت حيا أسار الجند أم نزل الأمير

ومن يك جاهلا برجال دهر فاني عالم بهم خبير

كأنهم اذا فكرت فيهم ذئاب أو كلاب أو حمير

يشير الشاعر في هذه الأبيات الى وحدته وعزلته عن الناس والبعد عنهم وهجرانهم حتى أنه وصل الى الأمر الذي لا يريد الخوض فيه عن أحوال الناس وتداول أمورهم,ومن القراءة الفاحصة للأبيات نجد أن الخطاب يستتر خلفه غرضا آخر وهو الظلم والاتهام الذي تعرض له الشاعر اذ اتهمته بعض العناصر آنذاك بالزندقة ,اذ كان صالح بن عبد القدوس يتمتع بتفكير فلسفي ,وكانت الاتجاهات الفكرية انذاك قد تفرقت الى مدارس متعادية فأهالوا على بعضهم بالتهم خاصة بعد ما رأوه خصم قوي الحجة يتمتع بالعلم والمعرفة, فكانت العناصر التي حاربته قوية تسندها السلطة والمال فكان اتهامه ستارا لا غير لكي ينتفض الرأي العام ضده ,لذلك ارتأى الشاعر البعد عن الناس والعزلة ليحفظ سلامته ,فيقول[١٦]:

لا تنطقن بمقالة في مجلس تخشى عواقبها وكن ذا مصدق
واحفظ لسانك أن تقول فتبتلي ان البلاء موكل بالمنطق

في البيتين السابقين ينهي الشاعر عن التحدث فيأمر بحفظ اللسان والتروي قبل النطق فكل ماينطقه الانسان قد يترتب عليه أثر وعواقب لذا فالامتناع عن التكلم اسلم , وقد اضمر الشاعر في هذين البيتين نسق الخوف والحذر, فبعد أن شعر الخلفاء العباسيين بابتعاد الناس عنهم أرادوا التقرب من الشعب باسم الدين فشنوا حملة قاسية ضد الخصوم وكان صالح أحد المتعرضين لهذه الحملة فاتهم باتهامات كثيرة حتى أعدم ((والظاهر ان اعدام صالح بن عبد القدوس كان بسبب نشاطه السياسي والاجتماعي ولا علاقة له بالالحاد أو الزندقة مهما كان نوعها))[١٧].

١)النسق الاجتماعي:

كل مجتمع يتميز بمجموعة من الأنساق الاجتماعية التي تربط أفراده بروابط متشابهة يتميزون بها عن غيرهم من المجتمعات[١٨] , وقد عاش صالح بن عبد القدوس في عصر امتاز بالثراء والترف اذ كانت حمول الذهب والفضة تحمل اليها من أطراف الأرض [١٩] فانساق الناس وراء الرغبات البشرية وانغمسوا في اللذات وشاع الفساد بين الناس مما أدى الى تصدع الكيان الاجتماعي فظهرت بعض الأمراض الاجتماعية مثل الاسراف والخيانة وعدم الوفاء.

يقول[٢٠]:

تخير من الاخوان كل ابن حرة يسرك عند النائبات بلاؤه
وقارن اذا قارنت حرا فاما يزين ويزري بالفتى قرناؤه
حبيبا وفيا ذا حفاظ بغيبة وبالبشر والحسنى يكون لقاؤه
أريب اذا شاورت في كل مشكلة أديب يسوء الحاسدين بقاؤه
تمسك بهذا ان ظفرت بوده فيهنيك منه وده ووفاؤه

عن طريق الأبيات المذكورة يظهر النسق الثقافي للقيم التي يعتز بها الفرد في مجتمعه عبر افصاحه عن المعايير التي يجب توفرها في الأصدقاء كالحب والوفاء وحفظ السر والمعاملة الحسنة وغيرها وهذا هو النسق الظاهر , أما النسق المضمر أراد أن يوصل للقارئ عدم الوفاء من قبل الأصحاب اذ أصبح من الصعب الحصول على صديق وفي تنطبق عليه هذه المعايير في المجتمع الذي عاش فيه الشاعرفلم يلاق منهم سوى الغدر فأصبح هم الناس وتفكيرهم الشاغل هو المال , يقول أيضا[٢١]:

يظهر عيب المرء في الناس بخله ويستره عنهم جميعا سخاؤه
تغط بأثواب السخاء فانني أرى كل عيب والسخاء غطاوه

من الواضح أن الأبيات تشير الى أن الناس تغض النظر عن عيب الفرد وتتقبله اذا كان سخيا , وكأن السخاء والكرم يغطي كل العيوب التي يتصف بها الانسان, وعن طريق قراءة الأبيات نجد

أن الخطاب يكشف عما وصل اليه الناس في مجتمعه من الاهتمام المبالغ فيه بالمادة حتى أصبح الناس يبستترون على عيوب الغني ولا يرون مساوءه وكأن المادة قد غطت على عيوبه فسترته وهذا مانجده في العصر العباسي اذ كان الشعراء يمجدون الخلفاء وغيرهم من الأفراد الذين حرموا الشعب حقوقه ومضوا باحتكار الأموال الضخمة لأنفسهم ومن يؤيدهم من الوزراء والولاة والشعراء وغيرهم.

يقول[٢٢]:

قد ينفع الأدب الأطفال في صغر وليس ينفع بعد الكبرة الأدب

ان الغصون اذا قومتها اعتدلت ولا يلين اذا قومته الخشب

الظاهر من هذين البيتين ان المفاهيم الأخلاقية والأدبية تغرس في النفوس عند الصغر ويستحيل غرسها بعد الكبر كالأغصان الصغيرة التي تعتدل اذا قومتها أما بعدما تجف فمن الصعوبة أن تقومها , أما النسق المضمر المتشكل فيها فقد أراد الشاعر أن ينتقد ماوصل اليه حال بعض كبار الشخصيات في زمانه اذ كان مجتمعه مليء بالأمراض الاجتماعية والأخلاقية فعمد الشاعر كثيرا الى تضمين أشعاره اسلوب النصح والحكم محاولا ايقاظ الناس خاصة وأن الشاعر مر بتجارب كثيرة[٢٣].

القارئ لشعر صالح بن عبد القدوس يجد فيه انه كان مرآة لكثير من الظواهر الاجتماعية السائدة في عصره اذ ازداد في هذا العصر عدد المنافقين وضعاف النفوس والمتملقين وساد تيار اللهو والعبث وشاع الفساد بين الناس مما جعل الشاعر ينتفض على تلك الظواهر فيقول[٢٤]:

بقينا في بهائم راتعات تجول ولا الى عقل تؤول

فان حدثت عن سمك وبقل فأنت لديهم رجل نبيل

وان حدثت عن أبواب علم فأنت لديهم فدم ثقيل

يصور الشاعر في هذه الأبيات سيادة الحمقى وتصدرهم لأمور الناس في ذلك العصر واهتمامهم المبالغ بأنواع الطعام وعدم الاكتراث بالعلم والمعرفة , لكن النسق المضمر يظهر الرفاهية والبذخ التي وصل اليها المجتمع و الظلم الاجتماعي الذي كان في ذلك العهد , اذ تجد من العلماء من عاش متشردا جائعا ليس له مأوى يحميه لأنه بعيد عن التملق للحكام والولاة عكس الأبله والأحمق الذي كان يعيش في ترف الحياة ونعيمها في قصور الخلفاء وهذه صورة دقيقة وصف فيها الشاعر التهرئ الفكري والجهل الذي تفشى في عصره وفيها انتقاد لاذع لأصحاب السلطة وذيولهم من العلماء والشعراء .

نتائج البحث

١- مثل شعر صالح بن عبد القدوس البصري نتاجا أدبيا خصبا اذ انه مؤسس مدرسة الحكمة في الشعر العربي في القرن الثاني الهجري عالج خلالها بعض القضايا السائدة في عصره , وقد حملت أشعاره انساقا مضمرة تم تحديد أهمها: الانساق السياسية والأنساق الاجتماعية.

٢- حاول الشاعر عبر النسق السياسي الرد على بعض الأفكار التي كانت السلطة تحاول ترسيغها فعرف بالنقد اللاذع لأصحاب السلطة وذيولها اذ كان يناورها بنشر قصائده عبر أبيات من الحكمة التي كان يتمتع بها الشاعر.

٣- وظف الشاعر عبر النسق الاجتماعي خطابا أراد من خلاله نقد ومعالجة بعض الأمراض الاجتماعية والعلاقات الفردية بين الناس كانت سائدة في عصره والتي لم تنل استحسانه.

٤- حملت أشعار صالح بن عبد القدوس البصري تجربة شعرية دفعته للحذر والخوف والبعد عن الناس وما هي الا تراكمات تعرض لها الشاعر في الحياة فمثلت نسقا ثقافيا مضمرا في شعره .

الهوامش

١ ينظر : شعر الهذليين : دراسة في الأنساق الثقافية.

٢ النقد الثقافي ,قراءة في الأنساق الثقافية ص ٨٣ .

٣ ينظر: جماليات التحليل الثقافي,د. يوسف عليمات:٣٤

٣ النقد الثقافي ,قراءة في الأنساق الثقافية ص: ٨٤ .

٥ المرجع نفسه:٧٩ .

٦ نقد ثقافي أم نقد أدبي: ٣٢ .

٧ القبيلة والقبائلية أو هويات ما بعد الحداثة:١٠٣

٨ النقد الثقافي قراءة في الأنساق العربية:٦٩ .

٩ النقد الثقافي من النص الأدبي الى الخطاب : ٤٧.

١٠ ينظر : اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري,٢٣ .

١١ ديوان صالح بن عبد القدوس البصري :٦٩ .

١٢ ديوان صالح بن عبد القدوس البصري:١٣٢ .

١٣ ديوان صالح بن عبد القدوس البصري:١١٩ .

١٤ سورة الانسان : ٣ .

١٥ ديوان صالح بن عبد القدوس البصري:١٢٠ .

١٦ ديوان صالح بن عبد القدوس:١٤٧ .

١٧ ديوان صالح بن عبد القدوس :٩٠ .

١٨ ينظر: النظرية المعاصرة في علم الاجتماع:٧١.

١٩ ينظر: تاريخ الأدب العربي,العصر العباسي الأول:٤٥ .

٢٠ ديوان صالح بن عبد القدوس البصري:١١٨ .

٢١ ديوان صالح بن عبد القدوس البصري:١١٩ .

٢٢ ديوان صالح بن عبد القدوس البصري :١٣٣ .

٢٣ الحكمة في شعر صالح بن عبد القدوس البصري:٤٨ .

٢٤ ديوان صالح بن عبد القدوس البصري:١٣٤

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

١. اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري,د.محمد مصطفى هدارة, دار المعارف,١٩٦٣.

٢. تاريخ الأدب العربي,العصر العباسي الأول,د.شوقي ضيف,دارالمعارف, القاهرة , ط١٧, ٢٠٠٧.

٣. جماليات التحليل الثقافي,د. يوسف عليمات,المؤسسة العربية للدراسات والنشر, بيروت,ط١, ٢٠٠٤ .

٤. الحكمة في شعرصالح بن عبد القدوس البصري(رسالة ماجستير), الطالبة:نجلاء بنت محمد بن صالح,اشراف:د.محمود بن حسن زيني,جامعة أم القرى,٢٠٠٧.

٥. شعر الهذليين: دراسة في الأنساق الثقافية(رسالة ماجستير) الطالب: علي عمار جخر الرماحي, اشراف ,د. ضياء غني لفتة العبودي, جامعة ذي قار كلية التربية للعلوم الانسانية,٢٠١٨ .

٦. صالح بن عبد القدوس البصري,عبد الله الخطيب,دار منشورات البصري ,بغداد,د.ط, ١٩٦٧ .

٧. القبيلة والقبائلية أو هويات ما بعد الحداثة,د.عبد الله الغذامي,المركز الثقافي العربي, الدار البيضاء,ط٢ ,٢٠٠٩ .

٨. النظرية المعاصرة في علم الاجتماع,د.طلعت ابراهيم مصطفى,د.كمال عبد الحميد الزيات,دار غريب,القاهرة,د.ط .

٩. النقد الثقافي من النص الأدبي الى الخطاب,د.سمير خليل,دار الجواهري بغداد,ط١, ٢٠١٢ .

١٠. النقد الثقافي ,قراءة في الأنساق الثقافية العربية,عبد الله الغذامي,المملكة المغربية ,ط٣ ,٢٠٠٥ .

١١. نقد ثقافي أم نقد أدبي, د. عبد الله الغذامي,د.عبد النبي اصطيف ,دار الفكر , دمشق, ٢٠٠٤.

List of sources and references:

The Holy Quran

1. Trends in Arabic poetry in the second century AH, Dr. Muhammad Mustafa Hadara, Dar Al-Maaref, 1963.

2. History of Arabic Literature, the First Abbasid Era, Dr. Shawqi Deif, Dar Al-Maaref, Cairo, 17th edition, 2007.

3. Aesthetics of cultural analysis, Dr. Youssef Alimat, Arab Foundation for Studies and Publishing, Beirut, 1st edition, 2004.

4. Wisdom in the Poetry of Saleh Bin Abdul Quddus Al-Basri (Master's Thesis), Student: Najla Bint Muhammad Bin Saleh, Supervised by: Dr. Mahmoud Bin Hassan Zaini, Umm Al-Qura University, 2007.

5. Poetry of the Hudhalis: A Study in Cultural Patterns (Master's Thesis) Student: Ali Ammar Jakher Al-Ramahi, supervised by Dr. Dhia Ghani Lafta Al-Aboudi, Dhi Qar University, College of Education for Human Sciences, 2018.

6. Saleh bin Abdul Quddus Al-Basri, Abdullah Al-Khatib, Al-Basri Publications House, Baghdad, D. I., 1967.

7. The tribe and tribalism or post-modern identities, Dr. Abdullah Al-Ghadhami, Arab Cultural Center, Casablanca, 2nd edition, 2009.

8. Contemporary Theory in Sociology, Dr. Talaat Ibrahim Mustafa, Dr. Kamal Abdel Hamid Al-Zayat, Dar Gharib, Cairo, Dr.

9. Cultural criticism from literary text to discourse, Dr. Samir Khalil, Dar Al-Jawahiri, Baghdad, 1st edition, 2012.

10. Cultural criticism, a reading of Arab cultural patterns, Abdullah Al-Ghadhami, Kingdom of Morocco, 3rd edition, 2005.

11. Cultural criticism or literary criticism, Dr. Abdullah Al-Ghadhami, Dr. Abdul-Nabi Astif, Dar Al-Fikr, Damascus, 2004.